

الشعرية عند النقاد العرب القدامى من خلال كتابات المرزوقي وحازم القرطاجني

The Poetics of Old Arab Critics Through the Writings of Al-Marzouki and Hazem Al-Qartajani

د/ شهيرة قدور جبار *

جامعة حسيبة بن بوعللي الشلف، (الجزائر)، kaddourdjebbarchahira94@gmail.comc.kaddourdjebbar@univ-chlef.dz

تاريخ الارسال 2024/02/09 تاريخ القبول 2024/03/29 تاريخ النشر 2024/06/01

ملخص:

إنّ البحث في قضية الشعرية وتتبع حيثياتها وديناميتها أمرٌ محفوف بالغموض والرّبقيّة؛ إذ بلغ التنظير لها مبلغ القائمين على فك شفرات الأطروحات العلميّة، وإرساء قواعدها، لكونها تكتنز كثيرًا من الرؤى الفلسفيّة والنقدية التي أضحت نقطة مهمّة في الفكر النقدي المعاصر.

التأصيل للشعرية درسٌ قوامه ضبط مفاهيمها المتوارية في بحوث القدامى، بيدّ أنّه وصل إلى حدّ التعقيد والمغالاة نظرًا لتركيز المنظرين من الفلاسفة والنقاد على اللغة الشعرية وخصوصيتها فضلًا عن غوصهم أكثر في خباياها وتباين آرائهم حول ماهيتها، ممّا قد يتعذر على الباحث في العصر الحديث سبر أغوارها لولا تنالي الدراسات الرّامية إلى تقصيها تبعًا لمرجعيتها التاريخية.

والغوص في الموروث النقدي ليس بالأمر الهين بحكم تشعبه وتداخل آراء النقاد عن الشعرية ومنه فههدف هذه الدراسة يتجلى في تقصي هذا الحقل المعرفي بالخوض في الكتابين الموسومين " شرح ديوان الحماسة لأبي تمام " و " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " للنقادين المرزوقي وحازم القرطاجني بوصفهما من الحقول المهمّة التي نظرت للشعرية؛ وأرست معالمها و عناصرها، إذ يعتبران بطانتهما الأساسيّة.

الكلمات المتاحية: الشعرية _ النقاد العرب القدامى _ المرزوقي _ حازم القرطاجني _ الموروث النقدي القديم.

Abstract:

Researching the issue of poetics and tracing its rationale and dynamics is fraught with ambiguity and mercury. Theorizing on it reached the level of those responsible for decoding scientific theses and establishing its foundations, as it contains many philosophical and critical insights that have become an important point in contemporary critical thought.

* المؤلف المرسل د/ شهيرة قدور جبار

The rooting of poetics is a lesson based on controlling its hidden concepts in the research of the ancients, however, it has reached the point of complexity and exaggeration due to the focus of theorists of philosophers and critics on the poetic language and its specificity, as well as their diving more into its mysteries and the divergence of their opinions about its essence, which may not be possible for the researcher in the modern era to explore its depths were it not for The studies aiming to investigate it follow successively according to their historical reference.

Diving into the critical heritage is not an easy matter due to its ramifications and the overlapping of critics' opinions on poetics, and from it. The aim of this study is to investigate this field of knowledge by delving into the two books tagged "Explanation of the Court of Enthusiasm of Abi Tammam" and "Minhaj al-Balgha and Siraj al-Adaba" by the critics al-Marzouqi and Hazem al-Qartajani as important fields that theorized for the poetic; And it established its features and elements, as they are considered its basic lining.

Keywords: Poetry_ the ancient Arab critics_ Al-Marzouqi_ Hazem Al-Qartajani_ the ancient critical heritage.

1. مقدمة:

بالنظر في الموروث النقدي القديم نلغ فيه يُضْمَرُ كثيرا من النظريات التي شكلت بسيرورتها في العصر الحديث مجالا لأرقى المعارف والعلوم سيما ميدان النقد، لذا سنحاول في هذا السياق تسليط الضوء على الشعرية وعناصرها البانية لها في المنجز النقدي العربي القديم على لسان المرزوقي وحازم القرطاجني من خلال كتابيهما " شرح ديوان الحماسة لأبي تمام" و" منهاج البلغاء وسراج الأدباء" اللذان جسدا الشعرية في أدق صورها.

وغياب مصطلح الشعرية في كتابات النقاد القدامى لا يعني إنعدام مفهومه وأركانه المقننة له كنظرية في قراءة الأثر الأدبي وتتبع جمالياته؛ إذ كان موجودا في حين حفلت النظرية بمصطلحات منها: الصنعة، النظم اللفظ والمعنى، الجدة والقدم¹، وقد حُصَّ المرزوقي والقرطاجني بهذا المفهوم وحددا عناصره جملة وتفصيلاً:

2. المرزوقي أبو علي: (ت 421 هـ):

يُنظَرُ للمرزوقي أنه من النقاد القدامى المهتمين بجنس الشعر والباحثين في خصائصه الجمالية، والشعرية كمفهوم لم تتحل في كتاباته النقدية، غير أنه أوضح تباشيرها في سياق طرحه لقضية عمود الشعر التي سار فيها على خطى كل من الجرجاني والآمدني، بل رسم الخطوط العامة التي تصلح للقدم من النتاج الشعري وحديثه.

وعمود الشعر نظرية اكتملت صورتها وتحددت أركانها لدى المرزوقي في مقدمة مؤلفه "شرح ديوان الحماسة لأبي تمام"، إذ شهد الشعر العربي على إثرها تحولا جذريا في عناصره البانية له، فضلا عن اللفظ والمعنى اللذين ذاع صيتهما لدى النقاد آنذاك -باعتبارهما جوهر الشعر ناهيك عن تضارب الآراء فيهما بين مؤيد ومعارض

— عكف المرزوقي على إضافة معايير أخرى لتكون عاملاً حاسماً في تمييز المبدع من غيره وجيّد الشعر من رديئه والتي صاغها في بوتقة عمود الشعر.

حينما نقف على مشارف هذه النظرية، ندرك أنّها أساس الصنّاعة الشعريّة، نظراً لتأديتها دوراً كبيراً في تصنيف الشعراء، وقياس قدراتهم ومدى تمثلهم لأسس الإبداع الشعري²، فالمرزوقي لما كتب عن عمود الشعر كان يُدرك أنه لمن الضروري وضع شروط عامّة للنّظم وذلك «ليتميّز تليد الصنّعة من الطّريف وقدم نظام القريض من الحديث (...) ويُعلّم فرق ما بين المصنوع والمطبوع»³، فلم يهمل ما جاء به أسلافه وحذا حذوهم، فكانت آراء الأمدي والجرجاني بطانتها المقنّنة.

ولذلك أدلى: «إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته والإصابة في الوصف ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال وشوارد الأبيات والمقاربة في التشبيه والتحام أجزاء النّظم والتّمامها على تحيّر من لذيذ الوزن ومناسبة المستعار منه للمستعار له ومشكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما — فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ولكل باب منها معيار (...) فمن لزمها بحقها وبني شعره عليها فهو عندهم المفلح المعظم والمحسن المقدّم ومن لم يجمعها كلّها بقدر سهمة منها يكون نصيبه من التّقدم والإحسان وهذا اجتماع مأخوذ به متبع نَحجه حتى الآن»⁴. والنّاظر لمجمل هذا الخطاب يلقي أن مفهوم الشعريّة ورد مرادفاً لعمود الشعر والذي تجلّى في المعايير الآتية:

1.2 . شرف المعنى وصّحته:

ومفاد هذا الطرح «أن يعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب»⁵ وأن يكون من أحاسن المعاني المستفادة من الكلام، يكمن في تلقي السامع للمعنى وفهمه له، مستغنياً به، متوافقاً وأغراضه، أمّا عن طريقة صوغ هذا المعنى، فهي أن يلحظ البليغ ما يجيش في نفسه مما يريد إبلاغه إلى نفس المتلقي، فينشئه بأحسن صورة، معتمداً على الفطنة، الدّربة اللّتان تولدتا عن ذوقه، شريطة أن يكون هذا الأخير (أي المعنى) جديداً مبتكراً غير مسبوق هذا عن شرفه، أمّا عن صحّته فمن أسمى صورته أن يكون مطابقاً للواقع⁶ نحو قول حسان رضي الله عنه:

وَإِنْ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقًا⁷

غير أنه ليس بشرط بحكم أنّ الشعر يُبنى على المغالطة والخيال، يختلف باختلاف الأغراض والمقامات.

2.2 جزالة اللفظ واستقامته:

جزل اللفظ من محاسن المعاني ومعياره الطّبع، الرواية، والاستعمال سليم من الاستهجان⁸، متعارف لدى الأدباء والبلغاء، بعيداً عن التكلّف ومّا هو مستكره في السّمع عند النطق بالكلمة، لا يشوبه ضعف المعنى أو التفكير وفي منحى آخر قوبلت الجزالة بالرتقة فأرئيد بها نسج الكلام على منوال القدماء في الشدة والقوة أو على نهج المحدثين في اللّين والظرف ويبقى الرأي الأرجح خلوها من التكلّف وامتزاجها بالبساطة، والمراد

بالاستقامة وفاء اللفظ بالاستعمال البليغ من غير خطأ ولا تقصير أو غموض فضلاً عن السلامة من التعقيد.⁹

3.2 الإصابة في الوصف:

إذ يتعين على الشاعر الذكاء وحسن التمييز¹⁰ عن طريق التصوير والإيضاح دون إنقاص، غير أن وصف الشاعر أكثر عرضة للتقص والعيب من الكاتب وذلك لتوظيفه التخيل في نقل معانيه دون مشاهدة مما قد يحيط الأشياء بغير صفاتها فيجيد عن الدقة ويخفي بعضاً من عيوبها¹¹ لذلك فهذا العيار يتحقق بصدق التصوير، مزج المعاني وعدم الخروج عن بعضها¹² وفي هذا الشأن تتجلى حنكة المبدع وذكاؤه.

4.2 المقاربة في التشبيه:

ويتأني بالفطنة وحسن التقدير¹³، فأحسن التشبيه ما أوقع بين شيئين لينتهي بهما إلى الإتحاد، وشدة القرب هي قوة وجه الشبه في المشبه، فليس المراد بالمقاربة المماثلة بين طرفي التشبيه في الصفات بل قوة المشابهة في وجه الشبه باستثناء ما لا مشابهة فيه¹⁴ بغية إزالة الغموض والإلتباس¹⁵ مثل قول المعري:

تَنَازَعَ فِيكَ الشَّبُهَ بَحْرٌ وَوَدِيمَةٌ
وَلَسْتُ إِلَى مَا يَزَعُمُونَ بِمَائِلٍ
إِذَا قِيلَ بَحْرٌ فَهُوَ مِلْحٌ مُكْدَرٌ
وَأَنْتَ تُمَيِّزُ الْجُودَ حُلُوَ الشَّمَائِلِ¹⁶

5.2 التحام أجزاء النظم والثناء على تخيير من لذيذ الوزن:

عياره الطبع واللسان إذ يتجلى الطبع في العلم بأبنية القصائد وقواعدها¹⁷، وطريقة نسجها، بحيث تكون الكلمات لحمة واحدة قائمة بذاتها، ضامة لمعانيها، مستوفية لوحداها، بيد أن اللسان يكمن في كون كلمات النظم متناسبة ليس فيها ما يثقله إثر اجتماعها فمن الألفاظ ما كانت في ذاتها خفيفة ولما ضُمَّتْ لغيرها نُقِلَتْ¹⁸، وعن لذيذ الوزن ما تطرب له الطبايع وتعتدل به أبيات القصائد¹⁹ ومن أدلته قول حسان:

تَعَنَّ فِي كُلِّ شِعْرِ أَنْتَ قَائِلُهُ
إِنَّ الْعَنَاءَ لِهَذَا الشَّعْرِ مَضْمَارٌ²⁰

الوزن ما سمي بحراً في اصطلاح العروضيين وما فيه من أعاريض وضروب وقد عني الشعر العربي به وفيه نوه المرزوقي لأمرين²¹:

- مزية الشعر باشتراط العرب الوزن فيه إذ لا يكون الكلام شعراً ما لم يكن له وزن خاص.
- تجنب الأعاريض والضروب الثقيلة، الزحاف والعلّة وفيها يغدو الشعر عثاراً، كلاماً مقطّعا ونتفا غير متماثلة، وقد تجتمع هذه الأخيرة فيضحى شأن الشعر كالنثر في التركيب والإيقاع.

6.2 مناسبة المستعار منه للمستعار له:

ترتكز الاستعارة على الذهن والفطنة²²، فعلى الرغم من كونها من قبيل التشبيه، إلا أن المرزوقي لم يدمجها في شرط مقارنته، ففي التشبيه إلحاق المشبه بالمشبه به بواسطة أداة دالة، ظاهرة أو مقدره، بيد أن في الاستعارة

إطلاق ونقل لصفة معيّنة من نوع إلى آخر على سبيل التناسب ومنه فهي مبنية على تناسي التشبيه وعلى إدعاء أن المستعار له من جنس المستعار منه فكانت جديرة بتمام المشابهة بَيْنَهُمَا²³.

والإستعارة على فروع منها: مصرّحة، مكنيّة، تخييليّة، وتمثيلية وفيها أصليّة وتبعية وكذا مرّشحة، مجردة ومطلقة ولذلك فدقة التشبيه فيها أحقّ وأولى من مُطلَقِهِ، ومنه فشرط التناسب أن لا يغفل الشاعر عن إستعاراته فينقضها²⁴، أو يجعل لها مأخذاً مُبَهَمَ الفهم بمنأى عن وديع اللفظ.

7.2 مشكلة اللفظ للمعنى وشدة إقتضائهما للقافية:

الخطاب الشعري يُبنى على اللفظ، والمعنى والقافية، فضلاً عن ضروب البيان والبديع، أمّا عن تشاكل اللفظ والمعنى لا يكون إلا بالدربة ودوام المدارس²⁵ ومفادُ المعنى الغرض المستوحى من ألفاظ التركيب الجملي لا المعنى الموضوع له اللفظ، بوصف هذا الأخير لا يتصوّر فيه مشاكلته بالمفردة الدالة عليه، والمقصود أن الغرض الشريف تناسبه ألفاظ شريفة، ثمّ إن اللفظ والمعنى بزعم المرزوقي شيء واحد نظراً لشدة إقتضائهما للقافية²⁶ وبالتالي فهما يشكّلان وحدة متكاملة.

على إثر ما سبق يمكن القول أن شعريّة المرزوقي شعريّة معيارية تحتكم إلى أسس وقواعد على الرغم من أدائه دوراً وصفيّاً يُعزى لما أتى به سابقوه، ومنه فعمود الشعر خلاصة آراء نقدية وصيغة متفق عليها لدى شعراء العربية على مر العصور أو بالأحرى الصّورة التي إتفق عليها النقاد.

ومنه فنظرية عمود الشّعْر واسعة شاملة لا يخرج من نطاقها شاعر عربي؛ إذ أن الخطاب الشعري تأليف منتظم مقنن ضف إلى ذلك جانبه الجمالي، المفعم بالتشكيلات الإيقاعية والصّورية وبالتالي فإذا رُفضت هذه النظرية فلا يكون إلاّ على أساس رفض الشعر العربي جملة وتفصيلاً، بل إنّ المرزوقي أسهم في إتساعها بما يحقق جمالية الأثر الشعري وهذا ما نادى به الشعريّة.

3 الشعريّة لدى حازم القرطاجني: (ت 684 هـ):

يُعد حازم القرطاجني من أشهر النقاد الذين احتضنوا نظرية الشعريّة إذ حاول أن يقدمها في صياغة جديدة، بغية إخراج الشّعْر من التقاليد العالقة به واضفاء عليه صبغة علميّة بتأسيس قواعد تبحث في بناه الداخلية، من وزن وقافية²⁷ ناهيك عن الفعل التخيلي الذي ربطه بالمحاكاة.

يُوصفُ كتاب "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" أنّه مرحلة إنتقال وتحوّل في تاريخ الشّعْر لدى العرب نظراً لاستلهامه مجهودات السلف ومحاولته تقديمها في قالب جديد، فالمتعمّن لهذا المؤلف يجده يحوي تعريفاً شاملاً للخطاب الشعري على النحو الآتي:

«الشّعْر كلام موزون ومقفى من شأنه أن يُجِبّ إلى النَّفس ما قصد تحببهِ إليها ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه بما يتضمن من حسن تخيل له ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو قوة صدقه أو قوة شهرته أو بمجموع ذلك، وكل ذلك يتأكّد بما يقترن

من إغراب، فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا إقترنت بحركتها الخيالية قوى إنفعالها وتأثرها، فأفضل الشعر ما حسنت محاكاته وهيأته وقويت شهرته أو صدقه أو خفي كذبه وقامت غرابته (...). وأردأ الشعر ما كان قبيح المحاكاة والهيئة، واضح الكذب خليًا من الغرابة وما أجدر ما كان بهذه الصفة ألا يسمى شعراً وإن كان موزوناً مقفى (...). لأن ما كان بهذه الصفة (...). لا تتأثر النفس لمقتضاه (...).»²⁸.

إنّ الباحث في ثنايا هذا النسق يلحظ أن الشعرية ترتكز على معايير فنية تتجلى في المظاهر الآتية:

1.3 المظهر الدلالي:

ويكمن في تشكيل بنية الأثر الشعري الكلية اعتماداً على عملية الاختيار بهدف تكوين الدلالات الملائمة وأفق انتظار المتلقي من خلال نسجها للكلام الشعري المخيل، لكون هذا الأخير يقوم على الاحتمال وعنصر التوهيم بغرض التأثير²⁹ حتى قيل في كلام الشاعر كذبٌ يحتمل الصدق فهو الذي من شأنه أن يكرهه لأنفسه «ما قُصدَ تكريهه لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه» (...). ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة الكلام أو قوة صدقه (...).»³⁰، وذلك عكس الفعل الخطابي الذي يُبنى على الترجيح³¹ يشوبه الصدق قلماً يعتوره الكذب.

2.3 المظهر البنائي:

ويُطلق عليه اللفظي التركيبي لكونه يجمع بين الإيقاع الموسيقي والتركيب (النظم) باعتبار أن الشعر موزون ومقفى يستحيل نسجه خارج الأبنية والأوزان، فعمل الموسيقى ذو حدّين أولهما طرب الأنفوس واستثارتها وثانيهما منح المتقبل إمكانية التأمل والبحث في المكون الدلالي للقطعة الشعرية، ومن هذا المعطى يتجسد دورها على مستوى الدلالة.

وقد كان الهدف من ذلك تحقيق التناسب بين الأجزاء الشعرية ليتلاءم النظم والنفوس -لا منافراً لها- ويُفصح عن سجيّة الناظم لذلك نلّفني حازم ساعياً إلى تحديد ما يُصاغ في الأوزان من التغاير وما لا يُصاغ فضلاً عن تمييزه بين الحسن فيها من الأحسن³²، وكذا تركيزه على المماثلة والموافقة بين الأبنية الوزنية والأغراض الشعرية وعليه فالمظهر التركيبي شأنه شأن الحسد والرُوح نظير علاقته بالبنية الوزنية.

3.3 عنصر المفاجأة (الإغراب أو التغريب):

الخطاب الشعري من أكثر الخطابات إشمالاً على عنصر المفاجأة بوصفها تشيخ نفس المتلقي وتحتة على التفاعل والتأثر نظراً لإقترانها بالخيال، فالباحث في الفكر الحازمي يُدرك تناوله لهذه الظاهرة التي تعدُّ من أهم عناصره في الشعرية، إذ ورد بثلة من التسميات أشهرها الاستغراب، التعجب، التعجيب... إلخ.

من الواضح أن الإغراب يجعل للخيال سبيلاً للخلاص من تقاليد النقد الصارمة واللجوء إلى استخدامه أمر يتعلق بإحساس الشاعر وما يضمّره من رؤى ومشاعر، فضلاً عن نفسه المحبة للتأليف وكل جميل فتسعهفه على التمثيل³³.

عَلِمَ القرطاجي بما يخلفه الإغراب في النفس من أثر خفي ممتع فأولع به وجعله من أسباب حسن المحاكاة³⁴ يقول: «ويحسن موقع التخيل من النفس أن يتزامل بالكلام إلى أنحاء من التعجب فيقوى بذلك تأثير النفس لمقتضى الكلام، والتعجب يكون بإستبداع ما يثيره الشاعر من لطائف الكلام التي يقلل التهدي إلى مثلها فورودها مستندر مستطرف لذلك كالتهدي إلى ما يقلل التهدي إليه من سبب تخفي سببته أو غاية له (...) وكالجمع بين مفترقين من جهة لطيفة قد انتسب بها أحدهما إلى الآخر وغير ذلك من الوجوه التي من شأن النفس أن تستغريها»³⁵، نستشف من هذا النسق أن حازم يؤكد ميل المتلقي إلى غير المؤلف من التعبير، على الرغم من إحتواءه على نوع من الغرابة شريطة أن يتوفر هذا الكلام على مبدأ القصدية، كأن يأتي الشاعر بمعنى ويقصد آخر بغرض إثارة دهشة المتلقي وإضفاء صيغة جمالية على إبداعه، فتحسن محاكاته.

وإتباعاً لهذا الطرح يمكن تقديم مفهوم للخطاب الشعري لدى حازم القرطاجي على النحو الآتي: هو خطاب نوعي لفظي يتميز بتقيده بالبنية الوزنية والوقفات الختامية المتماثلة والمجسدة في تركيبات نظمية للدلالة على أشياء غير المحاكاة والتخيل قصد إثارة إعجاب المتلقي أو بعبارة أخرى، الشعر صناعة تقوم على جودة التأليف وحسن المحاكاة وموضوعها الألفاظ وما تدل عليه، ومنه يمكن حصر أركان الخطاب الشعري الحازمي في جودة اللفظ، تناسب الوزن، تماثل التراكيب، أن يكون الخطاب ذو دلالة، حسن المحاكاة، جمالية التخيل وكل ما من شأنه أن يثير إعجاب المتقبل.

4.3 المحاكاة والتخيل:

تُعني المحاكاة بتصوير الأشياء، بيد أن التخيل ينتج عن إلتقاء المتلقي بالنص بوصفه محاكاة لموضوع ما هذه الأخيرة لا يراعي فيها شرط الصدق، وإن وُجد لا يكون حافظاً على التخيل، فالتخييل يتعلق بنفسية المتلقي ومدى انفعاله لأنه من وجهة النظر هذه «أن تتمثل للسامع مع لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها أو تصور شيء آخر بما إنفعالاً من غير رؤية إلى جهة من الإنبساط أو الإنقباض»³⁶ فالتخيل عملية إيهام تهدف إلى إثارة المتلقي مقصودة سلفاً ويحدث نتيجة الربط بين مكونات السامع والصورة المخيلة على مستوى لاوعيه فيلج عالم الإيهام والخيال³⁷.

أما المحاكاة فدورها عقد الصلة بين الموجودات الموصوفة وموضوع الخطاب الشعري وبحسن صفات الشيء الموصوف تحسن المحاكاة ويرقى الخطاب فيكون أجمل وتصاويره أوضح وأدق.

وعليه يمكن القول أن مجمل المحاكاة والتخيل يتمثل في كون المحاكاة علاقة النص بالعالم الذي يوصف وصفاً جمالياً، أما التخيل فيتجلى في تلك الرابطة المتينة بين استجابة المتلقي والنص المحاكي ومهمة الشاعر تنحصر في جودة التأليف وحسن المحاكاة أي تجسيد وتمثيل الواقع بصورة فنية مصغرة مثيرة يحكمها التركيب اللفظي والتشكيل الدلالي.

5.3 الاختيار وحسن التأليف:

أقرّ حازم بضرورة التأنق والاستجادة في إختيار الألفاظ والتراكيب التحوية وفي هذا المنحى إشارة تميّز الشاعر الذي يتحرى الإتيان بالجديد، البعد عن التكرار وكذا التقليد... إلخ، إذ يقترن الإختيار والتأليف بالعملية الإبداعية وما تحويه من تخيل ومحاكاة، قيم جمالية وفنية، وفي كلام حازم "بحسن هيئة تأليف الكلام" دعوة إلى حسن إختيار المواد اللفظية والذي يكمن في مخارج الحروف، انتظامها صيغها، موقعها، التناسب والتلاؤم العبارات ومدى ائتلافها وانسجامها ومنه فجمال التأليف يظهر جلياً في فاعلية السياق نظراً لتداخل وتشاكل الأجزاء والعناصر فيما بينها وبهذا يكون القرطاجني قد تجاوز فردانية اللفظة وخصائصها في ذاتها إلى تأليفات معنوية ولفظية نحو: الأسلوب النظم لكونهما شيء واحد وبهما تتحقق الوظيفة الشعرية³⁸ وبعبارة أدق أنّهما عماد ومكمن إثارة المتلقي.

على إثر ما تقدم من الطرح النظري -سالف الذكر- نخلص إلى أن جوهر الشعرية يكمن في المحاكاة والتخيل الذين يعكسان الواقع ويشكلانه في صورة جمالية محبة إلى النفوس، بأسلوب بليغ وطريقة نظم تعريتها الدقة والوضوح من شأنهما أن تثيرا إستجابة القارئ.

فمن هذه المقولة يتبن أن التخيل جنسٌ من علم البيان بوصفه يحوي الأنماط الكبرى المتعارف عليها عند أهل المجاز نحو: التشبيه، الاستعارة، المماثلة... إلخ والتي لن تتأت لأحد بل تسبرها الملكة الشعرية لدى الشاعر ومنه فالتخيل عند القرطاجني لم ينأ بكثير عن خطى سابقه في كونه صناعة شعريّة تختص بالشعر بيد أنه يقترن بمعياري الصدق والكذب.

والحق إن القرطاجني لا يتحدث عن الشعرية لكونها محاكاة خلاقية وصناعة فردية وكيف تنهياً للشاعر فحسب، بل يعرض أمر النص الشعري الذي يساير هذا الرأي بجعله صناعة ذاتية تختص بالمنشئ بحكم أنه مؤلف من أقوال موزونة متساوية مقفاة بوصفها الشروط التي يبني عليها الشعر فضلا عن جمالية التخيل الذي يعده قاسماً مشتركاً بين الفنون وجوهراً لكل صناعة من الصناعات الجميلة.

ومنه فالشعرية لدى القرطاجني محاكاة خلاقية وتخيل وصناعة شأنها الصناعات والفنون الأخرى لها ضوابط ومعايير يحتكم إليها الشاعر في عملية النظم، وفي هذا الرأي دعوة بينة تعلي منزلة الشعر من طبقة العامة إلى أهل الاختصاص، غير أنه لم يقص النص الثري من دوامة الشاعرية _ بل الفنون الأخرى على حد سواء _ نظير اقراره بكون الخطاب الشعري وتبعاً لقبح محاكاته، يتخلله الكذب، يخلو من الغرابة ينأى عن إذعان المتقبل فليس بشعر وإن حافظ على رتابته وجمالية موسيقاه.

ومنه فالخطاب الشعري مكون بلاغي الأصل ذو طريقة مخصوصة في التأليف ناهيك عن تشكيله الإيقاعي الذي يتخذ من الوزن القافية بطانته الأساسية، حفظاً على رتابة هذا الخطاب وتحقيقاً لجماليته خصوصاً إذا اقتزن بعنصر الإغراب (المفاجأة) مما يُضفي عليه رونقا وأكثر مقروئية، نظراً لتشكّل الحس النقدي الرامي إلى اكتناه هذا

الأثر وكشف خباياه وكذا الجمالي نتيجة تفشي الوعي بعناصر الجمال والسعي إلى رصدها بسبب التأثير والابتنجاب نحو هذا البناء الشعري.

4. خاتمة:

وأخيراً يمكن استخلاص أبرز النتائج كآآتي:

- معالم الشعرية لدى المرزوقي والقرطاجني لا تنبني على سطح اللفظ والنظم فحسب بل تتعداه إلى عمق المعنى الأدبي، والعقلي، والثقافي ومناسبة المعنى للغرض، مع المحافظة على رتبة وجمالية الطابع الموسيقي من الوزن والقافية، ضف إلى ذلك توظيف البيان والمجاز فضلاً عن التخيل والمحاكاة وكذا عنصر الإغراب شريطة التأثير في المتلقي، ويجعل الأثر الأدبي أكثر استقطاباً ومقروئية.

- رغم تماثل الناقدين في بعض معايير الشعرية وتباينهما في أخرى كالمحاكاة ومعياري الصدق والكذب، وكذا عنصر الإغراب والمفاجأة إلا أنهما ساقا الشعرية في إطارها النقدي القديم إلى مرحلة التبلور والاكتمال إذ عدت أفكارهما فيها عامة أساسية بنيت عليها الشاعرية في الدرس النقدي الحديث.

- التوصيات:

- ضرورة الأوبة للموروث النقدي القديم بتنقيبه وتمحيصه بوصفه عيون الدرس النقدي الحديث والمعاصر.

5- الهوامش:

¹ يُنظر، مديحة خالد، شعرية القصيدة المعاصرة عند محمود درويش، جدارية نموذجاً، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة آكلي محمد أولحاج، البويرة، الجزائر، 2012م، 2013م، ص 21.

² يُنظر، رائد جميل عكاشة، أحمد إبراهيم العدوان، عمود الشعر العربي بين المحافظة على الأصول ودواعي التجديد، مجلة الدراسات والعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 37، العدد 2، 2010م، ص 297.

³ إحسان عباس، تاريخ التقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 4، 1404هـ-1983م، ص 404.

⁴ المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن)، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تح: غريد الشيخ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م، ص 10-11-12.

⁵ المرجع نفسه، ص 10.

⁶ يُنظر، محمد الطاهر ابن عاشور، شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام، تح: ياسين بن حامد المطيري، عبد المحسن بن عبد العزيز العسكّر مكتبة دار المنهاج، الرياض، السعودية، ط 1، 1431 هـ، ص 106-111.

⁷ المرجع نفسه، ص 111.

⁸ يُنظر، المرزوقي أبو علي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ص 11.

⁹ يُنظر، محمد الطاهر ابن عاشور، شرح المقدمة الأدبية، ص 114-116.

¹⁰ يُنظر، المرزوقي أبو علي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ص 11.

¹¹ يُنظر، محمد الطاهر ابن عاشور، شرح المقدمة الأدبية، ص 117.

¹² يُنظر، إحسان عباس، تاريخ التقد الأدبي عند العرب، ص 406.

- ¹³ يُنظر، المرجع نفسه، ص نفسها.
- ¹⁴ يُنظر، محمد الطاهر ابن عاشور، شرح المقدمة الأدبية، ص 121.
- ¹⁵ يُنظر، المرزوقي أبو علي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ص 11.
- ¹⁶ محمد الطاهر ابن عاشور، شرح المقدمة الأدبية، ص 121.
- ¹⁷ يُنظر، المرزوقي أبو علي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ص 11.
- ¹⁸ يُنظر، محمد الطاهر ابن عاشور، شرح المقدمة الأدبية، ص 122.
- ¹⁹ يُنظر، المرزوقي أبو علي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ص 11.
- ²⁰ المرجع نفسه، ص 12.
- ²¹ يُنظر، محمد الطاهر ابن عاشور، شرح المقدمة الأدبية، ص 123-124.
- ²² يُنظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 407.
- ²³ يُنظر، محمد الطاهر ابن عاشور، شرح المقدمة الأدبية، ص 125.
- ²⁴ يُنظر، المرجع نفسه، ص 125-126.
- ²⁵ يُنظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 407.
- ²⁶ يُنظر، محمد الطاهر ابن عاشور، شرح المقدمة الأدبية، ص 127-130.
- ²⁷ يُنظر، أحمد بن بغداد، شعرية المكان في الشعر الجاهلي، ص 5.
- ²⁸ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط 3 1986م، ص 71-72.
- ²⁹ يُنظر، وهيبة جراح، منهاج البلغاء وسراج الأدباء من منظور البلاغة الجديدة، مجلة الممارسات اللغوية، العدد 09، 2012م ص 106.
- ³⁰ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 71.
- ³¹ يُنظر، وهيبة جراح، منهاج البلغاء وسراج الأدباء من منظور البلاغة الجديدة، ص 106.
- ³² يُنظر، عمر إسراطي، العروض عند حازم القرطاجني من خلال كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء، شبكة الألوكة الأدبية واللغوية، د ط، 2017م، ص 04.
- ³³ يُنظر، زينب بورقبة، نصيرة سويح، الخيال والتخييل عند حازم القرطاجني، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة الجلفة، الجزائر 2017م، ص 60.
- ³⁴ يُنظر، المرجع نفسه، ص 61.
- ³⁵ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 90.
- ³⁶ أحمد عبد الله الغول، قضايا الحدائث عند حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الأزهر غزة، فلسطين، 2014م، ص 56.
- ³⁷ يُنظر، المرجع نفسه، ص نفسها.
- ³⁸ يُنظر، المرجع نفسه، ص 58-59.

6. قائمة المراجع:

- 1 إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 4، 1404هـ-1983م
- 2 المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن)، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تح: غريد الشيخ ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م
- 3 محمد الطاهر ابن عاشور، شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام، تح: ياسين بن حامد المطيري عبد المحسن بن عبد العزيز العسكّر مكتبة دار المنهاج، الرياض، السعودية، ط 1، 1431 هـ

- 4 حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط 3 1986م
- 5 عمر إسراطي، العروض عند حازم القرطاجني من خلال كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء، شبكة الألوكة الأدبية واللغوية، د ط، 2017م
- 6 رائد جميل عكاشة، أحمد إبراهيم العدوان، عمود الشعر العربي بين المحافظة على الأصول ودواعي التجديد، مجلة الدراسات والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 2، 2010م
- 7 وهيبة جراح، منهاج البلغاء وسراج الأدباء من منظور البلاغة الجديدة، مجلة الممارسات اللغوية، العدد 09، 2012م
- 8 أحمد بن بغداد، شعرية المكان في الشعر الجاهلي، المعلقات العشر أنموذجاً، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجليلي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2015م، 2016م.
- 9 أحمد عبد الله الغول، قضايا الحداثة عند حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الأزهر غزة، فلسطين، 2014م
- 10 مديحة خالد، شعرية القصيدة المعاصرة عند محمود درويش، جدارية أنموذجاً، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أكلي محمد أولحاج، البويرة، الجزائر، 2012م، 2013م
- 11 زينب بورقبة، نصيرة سويح، الخيال والتخييل عند حازم القرطاجني، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة الجلفة، الجزائر 2017م